لقاء قناة الفرقان بالدكتور إبراهيم الجعفري
2009/11/17
(القرآن في حياة الجعفري) (ج1)

المقدم: نريد أن نبدأ من علاقتكم بالقرآن الكريم، وتأثير البيئة التي عشت فيها، وما خلقت في داخلكم من رغبة في التعرف على مكنونات هذا الكتاب العظيم؟

الجعفري: بدايتي مع القرآن الكريم ليست في الأربعينيات، إنما في بداية الخمسينيات؛ لأن ولادتي عام 1947؛ فأقول: في بداية الخمسينيات كنت صغيراً وربما يكون من الصعب أن أتذكر على نحو الدقة بداية علاقتي بالقرآن الكريم؛ لأنها لم تكن بداية قراءة وإنما كانت بداية استماع، أو ربما كانت سماع قبل الاستماع من خلال ما أسمعه من تلاوة في البيت حين كنت صغيراً، وقبل الانخراط في الدراسة الابتدائية.

المقدم: هل هناك مشاهد علقت في ذاكرتك لوالديك حين يقومان في السحر، فضلاً عن أنكم وُلِدتم في كربلاء المقدسة حيث المآذن التي امتزج نداؤها بتلك الدماء الزاكية، ما الذي أثارته فيكم؟

الجعفري: الوالد (رحمة الله عليه) توفي عام 1951 فما علق في ذاكرتي مشاهد أعدّها بثلاثة مشاهد أو أربعة فقط ليس أكثر، والصورة التي وصفتها صحيحة لكن كانت والدتي، وأما مدينة كربلاء فهي مدينة تعجّ بالمنائر وهي مدينة الحسين وهو ابن القرآن وحامله ومجسّده والمضحي من أجله، وكنت أتردد على زيارة المرقد الحسيني الشريف مرتين يومياً الأولى أبدأ بها يومي وفي الثانية أختم ليلي.
والدتي هي التي أسمعتني تلاوة من القرآن الكريم منذ وقت مبكر، وحينما يحلّ شهر رمضان المبارك يتضاعف الالتصاق، وتتضاعف الآيات التي تُقرأ فكنت أستمع لها، وتعلمت القراءة منها.

المقدم: بعد دخولكم إلى المدرسة هل وجدتم أن الأجواء اختلفت لجهة منهج التربية الإسلامية والتفسير، أم إن هذا المنهج يتلاءم مع ما لديكم؟

الجعفري: لم يكن هناك منهج، ولا يوجد اهتمام بدرس الدين، بل يوجد تسالم في أعراف المدارس أن درس الدين يُوظَّف لدروس أخرى.. أتذكر في مرحلة المتوسطة كان درس الدين يُعطى لدروس أخرى هذا في عامَي 1962 و1963، ولا أنكر أهمية هذه الدروس لكن أستنكر أن تكون بديلاً عن درس الدين.

المقدم: إلى ماذا تعزون هذه الحالة، ربما تكون هناك تيارات بعيدة عن الدين، قد يكون هذا تصرّفاً مبوّباً، ومقنّناً؟

الجعفري: من دون شك أن القضية أكبر من المدرسة التي نحن فيها حتى لا أجني على أستاذنا، لكن منهج وزارة التربية لو كان منهجاً مقنّناً بطريقة يعتبر القرآن الكريم منهجاً حياتياً، ويلصق الطلاب به لنزلت ضوابط ودروس وحصص وأساتذة أكفاء وامتحانات ومنهجية عندئذ يكون الكلام في المنهجية المعتمدة.

المقدم: من خلال هذه اللُحمة التي بينك وبينه، هل أسهم في حل أسئلة استفهامية عن الوجود والكينونة، ولماذا، كيف، ومتى؟

الجعفري: القرآن الكريم هو الذي يجيب عن هذه الأسئلة، إنه ينتقل بنا في رحلة التربية والتوحيد عبر أربع مراحل:
((يا أيها الناس))
ولا يشرّفهم بلفظ المؤمنين، ثم يأخذهم من شاطئ كونهم أناساً لا عقيدة لهم، وينتقل بهم إلى أربع مراحل حتى يصل بهم إلى مرفأ السلامة:
((يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور))
والمرحلة الثانية:
((وهدى))
لأن الشخص وحدة بناء المجتمع.. يخاطب القرآن بمفردة الناس؛ لأنه قد لا تكون لهم عقيدة؛ فيقرع عقلهم بالدليل القطعي، ويعطيهم قيمة التوحيد، ثم ينتهي بك إلى المرحلة الثالثة، و((هدى)) أي انتقل بك من الهدى إلى الضلال، ووضعك على الطريق المستقيم، وعندما تمضي في الطريق المستقيم انتقلت، ووصلت إلى المرحلة الرابعة:
((ورحمة للمؤمنين))
فانتهيت بفضل هذه التراتبية القرآنية الكريمة إلى مرحلة المؤمنين.

المقدم: متى بدأت علاقتك بالتفاسير؟

الجعفري: في البداية كنت أستمع، وأصغي، وأتأثر جداً بمن يفسّرون، وقد أسهمَ المنبر الحسيني في شدّي وتفاعلي مع التفسير، خصوصاً الشيخ الدكتور أحمد الوائلي (رحمة الله عليه)، وانطلقت في التفسير حين كنت طالب وأخصّص وقتاً في الليل بعد دراستي، ومن التفاسير مجمع البيان، ثم بعد ذلك تفسير البيان الذي هو من التفاسير القيّمة، وبعد ذلك وصل إلى العراق تفسير الميزان فالتصقت به التصاقاً

معمّقاً وهو إلى الآن أكثر التفاسير التي أنشدّ له، وأتفاعل معها، وأعتبره تفسيراً رائعاً ومعمَّقاً، بعد ذلك جاءت تفاسير كثيرة متأخرة، وأنفتح أيضاً على تفاسير أخرى من أبناء إخواننا السنة، وأحاول أن أقارن، وأقتني التفاسير المختلفة منها: (روح المعاني، والمنار، وفي ظلال القرآن) وإن كان السيد قطب لا يعتبره تفسيراً، إنما هو في ظلال القرآن الكريم لكن بقيت أتعمق مع الميزان، كنت عندما يأتي مجلد جديد أعكف عليه، وأحاول أن أقرأه.
كنت في البداية ألاقي صعوبة؛ لأنه تفسير فيه جنبة فلسفية، ومؤلفه ليس عربياً وكُتِب باللغة العربية، فعباراته في الصياغة والتعبير ليست سلسة سلاسة العرب عندما يتحدثون بها، لكن ما يشدّني إليه الروحية العالية التي يتمتع بها في استنطاقه للقرآن الكريم، واستحضاره للآيات التي تدور في المحور الواحد؛ لأنه تفسير موضوعي وإن كان الموضوعي عند السيد الطباطبائي غير الموضوعي عند السيد الصدر فالموضوعي عند السيد الطباطبائي تفسير القرآن بالقرآن والموضوعي عند السيد الصدر تفسير القرآن بالواقع، أي أنت تسأل والقرآن يُجيب.

المقدم: إذن نستطيع أن نقول: نحن أمام بستان متكامل من يُرِدْ أن يأكل فاكهة يذهبْ إلى ركن الفاكهة؟

الجعفري: بل هي جنة متكاملة.

المقدم: كيف كنتم تتعاملون مع القرآن من حيث البرنامج والمنهجية اليومية قرآنياً؟

الجعفري: أنا أقرأ القرآن أجزاءً على مستوى الختم المستمر، وأقرأ على مستوى التفسير المستمر.. أما طريقتي في الختم فأنا أقرأ جزءاً من القرآن الكريم قبل أن أنام في الليل، وأقرأ مما أحفظ ما لا يقلّ عن مائتي آية حتى أطمئن أني أكملت الجزء، أما طريقتي في التفسير ففي بداية مرحلة الشباب كنت أعتمد قراءة التفسير كدورة كاملة، لكن بعد أن دخلت مرحلة الكهولة والتصدي فقد كنتُ أجهد نفسي لإيجاد نصّ قرآني سواء في الحياة الشخصية أم حياة التصدي، وأصرّ على أن أنطلق من ذلك العمق القرآني، بعد ذلك آتي للتفسير من زاوية ما واجهت اليوم، وما أحتاج في هذه المواجهة.

المقدم: تعني أن طبيعة اللقاء وطبيعة الحال تحتّم عليك أن تختار الآية الملائمة عندما تشرع في بحث معيّن؟

الجعفري: يجب أن أعطي آية عندما أتكلم أو ألقي خطاباً، فمثلاً: حين أريد أن لا أتأثر بأصحاب الدعوات الباطلة أستحضر في بالي:
((فأعرض عنهم))

والرد الثاني:
((وعظهم))
ويجب أن أستخدم أسلوب الدليل القوي:
((وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا))
وسُمِّي البليغ بليغاً؛ لأنه يضع الشيء في محله، ويطابق مقتضى الحال، ويصل إلى نهاية الشيء حتى تنفذ به، وتصل إلى عمقه؛ فيجب أن تدرسه؛ أرجع إلى التفسير، وأجد مداخل متعددة للآية القرآنية الكريمة، وبعض الأحيان أجهد نفسي في استنتاج بعض الأشياء من القرآن الكريم، فبعض الآيات أرجع إليها أكثر من مرة، وأستخرج منها أكثر من معنى.

المقدم: أي سورة قرآنية أو آية تجدون أن سركم فيها، وتواضبون على قراءتها؟

الجعفري: أكثر آية قرآنية كريمة أقرأها غير الواجبات، سورة الفاتحة وآية الكرسي فقد جاء في الروايات: من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يكن بينه وبين الجنة إلا الموت، ولكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي، من قرأ آية الكرسي بعد كل صلاة أو في دبر كل صلاة عُدَّ من الصدّيقين.

المقدمة: لأي القرّاء تستمع.. هل قُرّاء المدرسة العراقية، أم قُرّاء المدرسة المصرية، أم قُرّاء المدرسة الحجازية؟

الجعفري: القارئ محمد رفعت، شيخ القراء بلا منافس، كان رجلاً بصيراً توفي بعمر 54 (رحمه الله)، للأسف الشديد ليست لديّ دورة تسجيل كاملة له، لكني أعتبره يقرأ القرآن بذوبان، وينعكس ذلك على طريقته بالتلاوة وبالتجويد وبالترتيل، فلديّ بعض السور المسجلة له، كسورة مريم، والآن القارئ مصطفى إسماعيل وبعض القراء السعوديين والمدرسة الإيرانية..
أعتقد أن الله (تبارك وتعالى) فتح قلوب الناس المسلمين على استلهام القرآن وقراءته، ومن يقرأ من موقع الاندكاك سيؤثر فيه، ويمنح القارئ والمتلقي ويمنح المطبّق قدرة عالية راقية.

المقدم: كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): لا تقرأ القرآن قراءة الهذرمة، ولا تنتروه نتر الدقل، بل حرّكوا به القلوب، وهزّوا به المشاعر.
مسك الختام.. مع آية قرآنية أنتم تختارونها، تقرأونها أو ترتلونها.

الجعفري: كل سور القرآن مثار إعجابي، وأتبرك بسورة القدر:
بسم الله الرحمن الرحيم ((إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الشهر)).